

## دير الزور بين إرهابيين.. صراع برائحة النفط

الكاتب: محمد عامر هويدي – دير الزور

تاريخ النشر: ٢٠١٦/٠٥/١٢

تمهيد:

مرت مدينة دير الزور منذ بدء الثورة السورية وحتى الآن بتجربة كبيرة لصراع جديد ممزوج بالإرهاب وكل الانتهاكات الدولية من الأشخاص إلى الدول في أخطر صراعات العصر الحديث وحل وجود النفط فيها لعنة عليها أدى لدمارها بسبب الصراع المخيف عليه من كل الأطراف بدءاً من النظام إلى الكتائب المسلحة والعشائر وصولاً لسيطرة "تنظيم الدولة الإسلامية" على أجزاء واسعة من المحافظة.

وتقع محافظة دير الزور في شرق سورية على مسافة /٤٥٠/ كم شمال شرق دمشق، و /٣٢٠/ كم جنوب شرق حلب، على نهر الفرات الذي يقسم المدينة إلى قسمين؛ يمين النهر ويساره، ويبلغ عدد سكانها قرابة /٢٢٠/ ألف نسمة ، ٨٠% منهم مسلمون عرب، و ٢٠% مسيحيون.

وتتملك المحافظة ٤٠% من ثروة البلاد النفطية، ٣٠% من ثروة البلاد من القطن والمحاصيل الزراعية المختلفة، وتمتلك مخزوناً استراتيجياً من الحبوب.

وعلى الرغم من كل ذلك لم تتعم المحافظة يوماً باهتمام سلطات نظام الأسد، بل مُرس على أبنائها سياسة التجويع والتجهيل الممنهج التي أمل أبناء المنطقة عامة بتغييرها عن طريق الخلاص من هذا النظام.(١)

وتُعد دير الزور مركز المنطقة الشرقية المكون من المحافظات الثلاث (الحسكة والرقعة ودير الزور) وباتت مركزها الثوري في الفصل السلمي بدايةً، ومن ثم الفصل العسكري، إلا أن طول مدة الثورة أفرز أوضاعاً مأساوية، كان من أبرزها ظهور أمراء الحرب، وتجار النفط والآثار، ولصوص الحبوب وغيرها، ما انعكس سلباً على أبناء المنطقة الشرقية عموماً ومحافظة دير الزور خصوصاً.

### أولاً: دير الزور على درب الحرية

انطلقت أولى المظاهرات في دير الزور بتاريخ ٢٠١١/٤/١٥ في الساحة الرئيسية التي أطلق عليها فيما بعد ساحة الحرية، وأصبحت مركزاً رئيسياً للتظاهرات الحاشدة، حيث كان النظام يعمل على تفريقها بالسلح الحى.

وفي ٢٠١١/٧/٢٨ بدأت أولى الحملات الأمنية على دير الزور لإيقاف حركة الاحتجاجات فيها، وهو ذات التاريخ الذي بدأت فيه قوات الأمن والجيش السوريين حصاراً على المدينة بهدف قمع الاحتجاجات، ووقف مد التظاهر، وتعتبر هذه الأحداث الولادة الحقيقية للجيش السوري الحر في المدينة الذي استمر في اشتباكات مع قوات الجيش والأمن حيث تسببت هذه الاشتباكات آنذاك بمقتل محافظ دير الزور ومدير الأمن العسكري هناك.

وبعد بدء الجيش الحر ينمو ويكبر شيئاً فشيئاً وفي ٢٠١١/١١/١٠ شن مقاتلوه هجوماً على حاجز المريعة الأمني وتمكنوا من قتل جندي وضابط برتبة ملازم أول وجرح ٥ جنود آخرين، الأمر الذي تم اعتباره انتقالاً من مرحلة الدفاع إلى الهجوم.

وفي تلك الفترة تم تشكيل هيئة الأركان العامة للجيش السوري الحر وانضوت كتائب المدينة تحت لوائها.

### ثانياً: الخريطة العسكرية في مدينة دير الزور:

## أ - مرحلة الجيش الحر:

في بدايات شهر تموز من عام ٢٠١١ قامت قوات النظام بقصف حيّ الحويقة بالدبابات ومن ثم اقتحامه وإطلاق النار على الأهالي، لإيقاف حركة الاحتجاجات والتظاهرات في المدينة ممّا دفع الأهالي لتشكيل لجانٍ محليةٍ لإغلاق الطرقات ومنع قوات الجيش من الدخول إليها.

وفي تاريخ (٢٠١١/٧/٢٨) قام (٥٧) عسكرياً من قوات النظام بالانشقاق عنه نتيجة الأعمال القمعية ضد المحتجين والأهالي وقد شكّل انشقاقهم بداية لظهور وولادة الجيش السوري الحر وكتائبه في المدينة.

وفي الشهر الأول من عام (٢٠١٢) أطلقت قوات النظام النار على المتظاهرين في ساحة الحرية بدير الزور لمنعهم من الوصول إلى وفد المراقبين العرب، وفي نيسان (٢٠١٢) أعلن لواء جعفر الطيار عن سيطرة الجيش السوري الحر على كامل ريف دير الزور.

ولم يتوقف النظام منذ ذلك التاريخ ورغم الظروف المعيشية الصعبة، عن قصف المدينة بشكلٍ يوميٍّ مع استمرار اشتعال معارك كتائب الجيش الحر ضد قوات النظام.

في شهر حزيران من العام (٢٠١٢) سيطر الجيش الحر على كامل المدينة بعد اشتباكاتٍ عنيفةٍ دامت أيام عدّة مع قوات النظام التي اضطرت للانسحاب إلى مشارف المدينة ومن ثمّ قصفها بشكلٍ عنيفٍ، بينما استمرت الاشتباكات في محيط مطار دير الزور العسكري.

واستطاع الجيش الحر أن يحافظ على ما تم تحريره إلى أن أنشئت هيئة الأركان العامة للجيش الحر في كانون الأول ٢٠١٢ وانضمت كافة الكتائب المقاتلة في المدينة تحت لوائها، وتم تعيين المقدم الدكتور المهندس محمد العبود نائب رئيس أركان، وقائداً للجبهة الشرقية التي تعتبر مدينة دير الزور مركزاً لها، وصادام الجمل مساعد نائب رئيس أركان.

و شهد عام ٢٠١٢ أكبر انتشار للجيش السوري الحرّ، وسيطر على مساحات واسعة من الأراض السورية بشكل عام، وفي مدينة دير الزور بشكل خاص.

وعملت كتائبه على حماية تلك المناطق وإدارتها حتى مطلع عام (٢٠١٤) حيث تبادلت جبهة النصرة والدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) السيطرة على المدينة.

وكان طيران النظام الحربي قد قام بتدمير "الجسر المعلق" الأثري في (٢٠١٣/٥/٢)، الذي يحتل مكانةً كبيرة في مخيلة وذاكرة أبناء دير الزور، انتقاماً لهزائمه المتلاحقة في المدينة، فاصلاً بذلك طرفي المدينة اللذين يربط بينهما هذا الجسر الذي كان قد تعرض سابقاً لقذائف النظام في شهر آذار (٢٠١٣). (٢)

## ب- مرحلة ظهور الفصائل الإسلامية والنزاع بين القوى المعارضة للنظام

تأسست جبهة النصرة أولى الفصائل الإسلامية في بدايات عام ٢٠١٢ م، وبدأت تنمو نمواً متصاعداً منذ تحرير الريف وحتى سيطرة تنظيم الدولة على المحافظة، وتسارعت الأحداث في أرجاء المحافظة ليخرج النفط في النهاية عن سيطرة النظام في حزيران ٢٠١٣، حيث تمكن الجيش الحر خلال هذا الشهر من طرد قوات الأسد من معظم ريف المحافظة، وسيطر على أجزاء واسعة من المدينة.

ومنذ ذلك الوقت بدأت ظاهرة الاستيلاء والتعدي على الآبار والمنشآت النفطية بأنواعها المختلفة سواء الاعتداءات على السيارات والآليات والمعدات لشركات النفط العاملة في المحافظة، وقامت بها كتائب الجيش الحر بحجة الحاجة لتلك المعدات وكتائب حديثة التشكيل بعد التحرير، أو من خلال الاعتداءات الأشدّ خطورة، التي تمثلت بقيام مجموعاتٍ عائليةٍ أو عشائريةٍ بتفجير أنابيب النفط المارّة في أراضيها بغية الضغط على النظام وإجباره على تقديم تنازلاتٍ معينةٍ (مكاسب مالية - إطلاق معتقلين - إجبار النظام على التخفيف من سياسة العقاب الجماعي للمناطق المحررة بوصله للكهرباء مثلاً).

ونظراً لذلك أظهر الرأي العام المحلي تدمراً متزايداً من الفوضى التي جلبها التحرير خلال النصف الثاني من عام ٢٠١٢، وبداية انفصال تدريجي بين من يمكن تسميتهم بالثوار المبدئيين -مسلحين كانوا أم غير مسلحين- والثوار العمليين، الذين اكتسبوا بالغريزة مهارات خاصة بالتعامل مع هذا الواقع الفوضوي، بتصرفاتهم غير المسؤولة ومبدئهم الفضفاض بتسويغ ضياع الحدود من أجل شراء السلاح والذخيرة لقتال النظام.

وهنا يمكن تحديد خريطة القوة في المحافظة، في مرحلة تبلورها الأول في بداية العام ٢٠١٣، بحسب درجة الحضور والتأثير، وفق ما يلي:

١- التشكيلات العسكرية من الجيش الحر التي قاتلت قوات الأسد واستمرت في قتاله، بعد تحرير الريف، في جبهاتٍ أخرى بعيدة عن موطن نشأتها، وبنوعها الفوضوي والمنضبط نسبياً.  
ويندرج تحت هذه المظلة المجلس العسكري التابع لهيئة أركان الجيش السوري الحر الذي وجد في رأي أعضاء الهيئة الشرعية العليا الداعي إلى عدم جواز استثمار أية جهة للثروات النفطية قبل ضمان التوزيع العادل طوق نجاة يعفيهم من أي التزامات.

٢- جبهة النصره وبدأت تنمو بشكل متصاعد منذ تحرير الريف وحتى سيطرة تنظيم الدولة على المحافظة.

٣- الهيئات الشرعية والمجالس والتجمعات غير العسكرية الأخرى، والتي نشأت في معظمها تحت عنوان خدمة المصالح العامة للسكان في كل قرية وبلدة، وخاصة منها ذات العلاقة الوطيدة مع التشكيلات العسكرية المسلحة لأسباب القربى العشائرية.

٤- التشكيلات العسكرية حديثة التأسيس في البلدات والقرى التي لم تسجل لها مشاركاتٍ لافتةٍ وفعالةٍ في مقارعة قوات الأسد.

٥- اللصوص العاديون، جماعاتٍ وأفراداً، والمتورّعون على امتداد المناطق المحررة.

٦- النشاط الثوريون المدنيون، من إعلاميين ومتطوعي إغاثةٍ ومحرّصي تظاهراتٍ وغيرهم ممن كان لهم دورٌ في المرحلة السلمية للثورة.

٧- النخب المتعلمة من خريجي الجامعات، والذين يحظون بقدر من التقدير في مجتمعاتهم المحلية، وإلى جوار تركيبة القوى والنفوذ هذه، برز جامعو ومرسلو التبرعات ذوو التوجه السلفي في الخليج العربي.

٨- المكوّنات العشائرية التي انطلقت من مصالحها الخاصة في تعاملها مع الثروات النفطية، وبحسب ما يتيحها التوضع الجغرافي لها

ونجحت في أن تكون المستفيدة الأولى من النفط، سواء أكانت بصورة كنيية من الجيش الحر، تتكوّن من أبناء هذه العشيرة في معظم أفرادها، أم بصورتها المباشرة كأفخاذٍ وأجزاءٍ من أفخاذ، تتناوب على استثمار البئر وفق تفاهات تقاسم الحصص فيما بينها.

وكانت معظم تفاهات المحاصصة العشائرية تلك قلقاً وهشّة بتأثير المطامع والتنافسات ونزعات الاستحواذ والسيطرة التي أدت، وفي عشرات الوقائع، إلى نشوب صراعاتٍ داميةٍ بين هذه المجموعات.

وفي الربع الأول من العام ٢٠١٣ لم يكن لجبهة النصره نصيب سوى محطة تعبئة الغاز المنزلي، ونسبة النصف من عائدات ثلاثة آبار استولى عليها لواء عمر المختار قبل أن يطلب من جبهة النصره أن تكون شريكا له فيها دفعا لتهمة الاستئثار بالموارد النفطية.

وفي تاريخ ٢٠١٣/٣/٩ أعلنت جبهة النصره عن تأسيس الهيئة الشرعية في المنطقة الشرقية ضمن مشروع بدأت تنفيذه في محافظات أخرى جاءت هيئة دير الزور في سباقه، وضمت الهيئة وقتها كلاً من جبهة النصره؛ لواء مؤتة؛ لواء الإخلاص؛ لواء القعقاع الإسلامي؛ لواء ابن القيم؛ لواء رجال الله؛ كنيية بيارق النصر؛ كنيية الرحبة، كفضائل عسكرية تتبع للهيئة وتشكّل قوتها التنفيذية.

وحدد البيان الأول للهيئة وظيفتها الرئيسية بـ"تسيير شؤون الناس وملء الفراغ الأمني وحلّ قضايا الناس العالقة".

وبعد شهر تقريباً على تأسيس الهيئة الشرعية تمّ الإعلان عن ولادة "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، الأمر الذي أربك جبهة

النصره وأضر بهيئتها المشكّلة، التي بدأت انطلاقها الثانية بعد أن استقر الجسم التنظيمي لها في أول الشهر السادس ٢٠١٣ م.

وفي الشهر التاسع من العام ٢٠١٣ انضمت إلى الهيئة الشرعية حركة أحرار الشام الإسلامية قبل أن تطلق برنامجها "السيطرة على النفط" ليصبح اسمها الهيئة الشرعية المركزية، الذي انضم إليها جيش الإسلام منتصف تشرين الثاني من العام ٢٠١٣، وأضاف بانضمامه مواقع جديدة إلى دائرة سيطرتها.

ولم تستخدم الهيئة الشرعية المركزية القوة لتنفيذ خطتها بالاستيلاء على النفط إلا بعد احتدام التنافس بين النصرة وتنظيم "الدولة الإسلامية"، وعندما وجدت في السلوك الفوضوي للمجموعات العشائرية التي لم يثمر الغزل معها دافعاً معززا لذلك.

### ج - مرحلة سيطرة "تنظيم الدولة":

بدأ تنظيم الدولة الإسلامية بإثارة الصراعات والمعارك من أجل المبايعة مع أحرار الشام وما لبثت أن تدخلت جبهة النصرة لحل الخلاف بينهما لكن دون جدوى.

وبدأت المعارك بين الجبهة والجيش الحر من جهة و"التنظيم" من جهة أخرى حتى وصلت بوابة منجم الملح المعقل الرئيس للتنظيم في الريف الغربي إلا أن الدعم الذي تلقاه التنظيم، والمكائد التي كادها حالت دون سقوطه، ومن ذلك إرساله للسيارات المفخخة بشكل مستمر، وذلك إلى أن سيطر في حزيران ٢٠١٤ على كامل المناطق التي كانت تسيطر عليها "جبهة النصرة" والكتائب الإسلامية والكتائب المقاتلة في مدينة دير الزور.

وأعقب انسحاب مقاتلي النصرة والكتائب من مقراتهم ومواقعهم في مدينة دير الزور، دخول رتل مقاتلي "الدولة الإسلامية" عبر معبر السياسية إلى دير الزور مترامنا مع قصف لقوات النظام على الرتل وعلى منطقة جسر السياسية بشكل كامل.

وتلا ذلك سيطرة "الدولة الإسلامية" على كامل أحياء العرضي والشيخ ياسين والحبيدية والعرفي والحويقة الشرقية، وجزءاً من الحويقة الغربية، وأجزاء من الرشدية والجبيلة والموظفين والصناعة والمطار القديم والرصافة والعمال في مدينة دير الزور، وهكذا أصبح تنظيم "الدولة الإسلامية" مسيطراً على أكثر من ٩٥% من مساحة محافظة دير الزور الغنية بالنفط، والتي تبلغ مساحتها نحو ٣٦ ألف كيلومتر مربع.

لتصبح الخريطة العسكرية حالياً في دير الزور على الشكل الآتي:

#### ١- مناطق نفوذ تنظيم "الدولة الإسلامية"

يسيطر تنظيم "الدولة الإسلامية" على كامل ريف مدينة دير الزور، ويسيطر مع النظام السوري مناصفة على أحياء المدينة، حيث تخضع أحياء ( الحبيدية - العرضي - الحويجة - العمال - الحويقة - والكنامات) لسيطرته، وتشارك مع النظام في السيطرة على أحياء ( الجبيلة - الرصافة - جزء من حي العمال - وحي الصناعة).

#### ٢- مناطق نفوذ قوات نظام الأسد

تسيطر قوات نظام الأسد على حي الجورة حيث تتواجد قيادة المحافظة، وحي عياش ومنطقة اللواء (٣٧) وحي هرايش ومساكن العسكريين ومطار دير الزور.

أما أهم التكتلات العسكرية لجيش النظام: المطار العسكري، ومعسكر الطلائع، والجبل واللواء /١٣٧/ الواقع على أطراف المدينة وفي ختام الحديث عن الخريطة العسكرية في دير الزور يمكن القول أنّ لواء طارق بن زياد ولواء معاذ الركاض ولواء الأمة ولواء رمضان باشا الشاش ولواء الشرق

تعتبر من أبرز فصائل الجيش الحر التي شاركت في معارك كثيرة ضد النظام مثل معركة تحرير الجسر الحربي « ٢٠١٢/١٠/١٨ ومعركة تحرير حاجز معدان ٢٠١٣/١٠/١٦ ومعركة تحرير موقع الكبر النووي ٢٠١٢.

### ثالثاً: واقع حقول النفط حتى سيطرة التنظيم عليها:

كان النفط ولا يزال أحد أهم العوامل المؤثرة في أوجه الصراع المختلفة في محافظة دير الزور، سواء منها المتعلقة بالثورة التي حصلت ضد نظام الأسد أو تلك الناشئة بين القوى و التيارات العسكرية والدينية والاجتماعية.

وكان يمكن للشريحة السياسية والعسكرية في المجتمع وهي المسؤولة بعد خروج النفط عن سيطرة النظام، أن تدير هذا الملف أو أن تتدخل فيه بما يخدم المصالح العامة ويقلص من حجم الخراب الذي نزل بمعظم منشأته، قبل أن يقع في يد تنظيم "الدولة الإسلامية" الذي يستثمره بأوسع ما يستطيع لتغذية حروبه ونشاطاته المختلفة.

خرجت معظم الأراضي عن سيطرة قوات النظام في حزيران/٢٠١٢ بما فيها أكثر حقول النفط ومنشآته وآلياته، تحديداً في محافظة دير الزور، وصار النفط سلاحاً للتوافق مع نظام الأسد على "عقد حماية"، وهي الصيغة التي ابتدعتها وزارة نفط نظام الأسد بتكليف بعض المجموعات المحلية بحماية الأنابيب المارة في مناطقها مقابل مبالغ شهرية.

وافقت "متعهدو الحماية" القدرة والرغبة في منع مجموعاتٍ جديدةٍ -أو أفرادٍ- عن مهاجمة الأنابيب المارة في بلداتهم وقراهم، لأن لهذه المجموعات، هي الأخرى، مطالبها الخاصة من النظام، أو لمجرد التحدي والنكاية، إلا أن هؤلاء وجدوا مع ظهور الحراقات البدائية لتكرير النفط، أن بيع النفط الخام المار بأراضيهم أجدى مالياً من أي عقد.

ومن هنا شاعت تجارة هذا النفط وتكريره وعدد من الأعمال المرتبطة بدورته الاقتصادية التي أحدثت الغنى، كما ظهر نوع جديد من الهجمات على الأنابيب، تمثل في قيام أشخاص أو عائلات بتقرب هذه الأنابيب لسحب كميات من النفط المار فيها إلى حفر كبيرة تنشأ بجوار الثقوب وتستعمل كخزانات مكشوفة يبيع منها مالكو الثقوب النفط الخام للتجار ليحققوا بذلك أرباحاً طائلة، حتى بلغ عدد الاعتداءات ٩١٢ اعتداءً حتى آب ٢٠١٣ وفق تقرير \*\* أعدته فنيو شركة الفرات للنفط، وهذا ما شكل فشلاً لوزارة نفط النظام في سعيها لتأمين شخصيات قادرة على الإيفاء بوعودها.

في الشهر العاشر من العام ٢٠١٢ عقد اجتماع خاص للبحث في قضية النفط في قرية بريهة ٣٠ كم شرق دير الزور، قدم فيه المهندسون عرضاً لواقع منشآت وآبار النفط التي تتعرض بشكل يومي لأعمال النهب والتعدي.

وطالب المهندسون قادة المجلس الثوري العسكري (المقدم محمد العبود) والمجلس العسكري (مهند الطلاع) بوضع خطة فورية لحماية المنشآت وحذروا من التفكير في استثمارها نظراً لما يحتاجه هذا التشغيل من إمكانات، وماله من نتائج بيئية وجيولوجية خطيرة، فذهب أعضاء الهيئة الشرعية العليا إلى عدم جواز استثمار أية جهة للثروات النفطية قبل ضمان التوزيع العادل للواردات على الجميع.

ووجد في هذا الرأي القادة العسكريون طوق نجاة يعفيهم من أي التزامات إضافية، ولم يُقدموا على تلبية مطالب المهندسين لأسباب عدة لخصها المقدم محمد العبود بمايلي:

١ - عجز القوى العسكرية الثورية عن القيام بأية أفعال حاسمة وجذرية لحماية المنشآت النفطية وإدارتها.

٢ - الاعتقاد بالسقوط الوشيك للنظام، ثم مجيء سلطةٍ جديدةٍ تقوم هي بواجباتها تجاه قطاع النفط وغيره من القطاعات.(٣)

و لم يكن لدى المجلس العسكري الثوري، القدرة ولا الرغبة للتدخل في هذا الأمر، ورغم ذلك لم يجد بعض القادة العسكريين، ممن كرهوا تلطخ سمعتهم بالنفط، بدأً من السيطرة على آبار النفط بنوايا حسنة تجاه الصالح العام في البداية قبل أن تفعل المعطيات الفوضوية والمعقدة والمتغيرة في آن واحد فعلها، ليتحول بعض القادة، وبعض التشكيلات العسكرية السبابة في الثورة، من جبهات القتال مع النظام إلى جبهات الدفاع عن آبار النفط.

ومن ناحية أخرى تمكن قادة آخرون من التعامل بواقعيةٍ وحكمةٍ مع تلك المعطيات، فنجح لواء جعفر الطيار -مثالاً من أمثلة عدة- وهو تجمع لعشرات الكتائب متفاوتة الحجم والانضباط، في بعض المرات التي استولى فيها على منشآت نفط، في تسخير جزء من وارداتها لصالح العمل العسكري.

واستطاعت جبهة النصره توحيد عددٍ من القوى الفاعلة لتأسيس "هيئةٍ شرعيةٍ"، تألفت من جبهة النصره و لواء مؤتة، ولواء الإخلاص؛ لواء الفعقاع الإسلامي؛ لواء ابن القيم؛ لواء رجال الله؛ كتيبة بيارق النصر؛ كتيبة الرحبة، كفصائل عسكرية وقوة تنفيذية تتبع للهيئة.

وبعد شهر تقريباً حدث تطور شلّ الهيئة المشكلة، بالإعلان عن الدولة الإسلامية في العراق والشام لينتقل الكثير من مقاتلي الدولة إلى الجسم الوليد.

وكان للهيئة الشرعية عمالان بارزان في قضية نفط دير الزور؛ الأول هو السيطرة على معمل "كونوكو" الضخم للغاز(الطابية)

وطرد المجموعات العشائرية ذات السلوك الفوضوي منه التي عرضت اتفاقية الغاز مقابل الكهرباء مع وزارة نفط النظام للخطر، والثاني هو السيطرة على حقل العمر النفطي في اطار تنافسها مع تنظيم الدولة الإسلامية.

لم تتوقف الهجمات على الأنابيب الناقلة للغاز المنتج من معمل غاز "الطابية"، المعروف بـ"كونوكو" - نسبة إلى الشركة الأمريكية التي أنشأت المعمل- إلا بسيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" على محافظة دير الزور في حزيران ٢٠١٤.

و حافظ التنظيم على الاتفاقية المبرمة سابقاً بين القوى المختلفة، وتعرضت اتفاقية الغاز مقابل الكهرباء\*\* تلك لخروقاتٍ كثيرةٍ في عامي التحرير اللذين سبقا سيطرة تنظيم الدولة على محافظة دير الزور، فوُقت عشرات الاعتداءات من جانب مجموعاتٍ عائلية وعشائرية، وحتى أفراد، على أنابيب نقل الغاز.

وكان يتم قطع الكهرباء عن كامل دير الزور إلى حين سماح المهاجمين لورشات الصيانة بإصلاح الأنابيب المتضررة. في الشهر السادس من العام ٢٠١٣ انطلقت الهيئة الشرعية برئاسة "مظهر الويس" الخارج حديثاً من سجن صيدنايا، واكتفت بإنذار ورشات الحدادة بالتوقف عن تصنيع مصافي النفط، وفي الشهر التاسع من ٢٠١٣، وقبل اطلاق برنامج السيطرة على النفط انضمت حركة أحرار الشام الإسلامية إلى الهيئة الشرعية ليصبح اسمها (الهيئة الشرعية المركزية)، وصدر ميثاق موسع جديد للهيئة شدد في مقدمته على تلازم المسارين في معركة التحرير والبناء.

ولم يثمر عزل الهيئة الشرعية المركزية للعشائريين في محاولتها السيطرة على نفط المحافظة، إلا أن انضمام جيش الإسلام منتصف تشرين الثاني من العام ٢٠١٣ إلى الهيئة أضاف مواقع نفط جديدة إلى دائرة سيطرتها، ولم تستخدم الهيئة المركزية القوة لتنفيذ خطتها بالاستيلاء على آبار النفط إلا بعد احتدام التنافس بين النصرة وتنظيم "الدولة"، ووجدت في السلوك الفوضوي لبعض المجموعات العشائرية التي تسيطر على معمل غاز كونوكو (منطقة خشام) دافعاً معززا للسيطرة عليه بتاريخ ٢٠١٣/١١/١٤.

وكان لهذه السيطرة وقع حسن لدى الرأي العام لسكان المحافظة، الذي رأى في المجموعات المسيطرة على معمل الغاز نموذجاً عن اللصوص العشائريين المستأثرين بالثروات، واستفاد أنصار الهيئة الشرعية من هذه النظرة في تصوير عملية الاستيلاء على "كونوكو" كخطوة هامة في سبيل تطبيق العدالة.

### رابعاً: "تنظيم الدولة" يراقب والهيئة الشرعية تدير إحدى المنشآت النفطية:

راقب تنظيم الدولة الإسلامية من معقله في قرية جديدة العكيدات ما يجري وحرص أميرها عامر الرفدان الذي استغل صلات قرابته في تأليب أبناء عشيرته "البكّير" ضد الهيئة الشرعية، والظهور بمظهر المدافع عن عشيرته، ولقي تأليه استجابة جزئية دفعت الهيئة الشرعية لتخفيف حدة الاحتقان بتعيين مجموعات الحراسة من أبناء البكّير، واسترضاء تنظيم الدولة ذاتهم بعرض نسبة ٣٠% من واردات المعمل، وهو ما رفضه تنظيم الدولة، بالإضافة إلى استفزازاته شبه اليومية، وصلت إلى أن ناشدت الهيئة الشرعية المركزية في بيان لها مجلس شورى الدولة الإسلامية وأميرها للنزول إلى حكم الشرع لوأد الفتنة\*\*.

إلا أن مقاتلي الدولة وصلوا تحرشهم بالهيئة وعناصرها، في مقابل ذلك لم تتوانى الهيئة الشرعية المركزية عن القيام بخطوات عنيفة في الحالات التي انفلت فيها غضب المجموعات المطرودة من المعمل، كما لاحقت جبهة النصرة (الهيئة الشرعية) مهاجمي الأنابيب مبدية قدراً أعلى من المسؤولية تجاه المصلحة العامة.

ودخلت تشكيلات الهيئة الشرعية المركزية الموقع الرئيسي لحقل العمر بتاريخ ٢٠١٣/١١/٢٣ دون إراقة قطرة دم واحدة، بعد نقاشات حادة قادها أبو مارية القحطاني الشرعي العام لجبهة النصرة مع الأطراف العسكرية والعشائرية الفاعلة في المحيط الجغرافي للحقل لاستيلاء الدولة الإسلامية والسيطرة عليه.

وعينت النصرة أميراً للحقل، لتظهر فيما بعد أن تجربة حقل العمر شكلت اختباراً صعباً فشلت فيه الهيئة الشرعية المركزية أن تكون مؤسسة بالفعل، وظهرت بصورة كيان متردد وتابع لجبهة النصرة مما أضعف هيبتها في نظر القوى المنتمية وغير المنتمية إليها، ولم يتحقق شيء مما ورد في ميثاقها بأن يُشرف مكتب النفط والغاز التابع لها على الموارد النفطية الموجودة تحت سيطرة المجاهدين، لتذهب أحلام رئيس الهيئة "مظهر الويس" ومن معه أدراج الرياح.

كما أن الهيئة عجزت عن السيطرة على منشآت نفط أخرى باستثناء (كونوكو - العمر) إلا على نطاق محدود، بل وذهبت مجموعات وعشائر لتؤسس لنفسها هيئات شرعية، وتوسع دائرة المستفيدين من النفط داخل العشيرة لرص الصفوف أمام الهيئة الشرعية المركزية.

### خامساً: تنظيم الدولة الإسلامية و النفط دير الزور:

انتهت سيطرة تنظيم الدولة على المحافظة في حزيران ٢٠١٤، وكان النفط من أبرز أهدافه في المنطقة فقام بوضع يده على الآبار والحقول ونظم استثمارها في ما أسماه "ديوان الركاز" وهو مصطلحٌ عربيٌ قديمٌ يستعمله الفقه الإسلامي للدلالة على مختلف الثروات المدفونة في الأرض.

وأولى "التنظيم" مسائل استمرار استخراج النفط وزيادة كمياته عناية كبيرة، واستطاع تحقيق تطوراتٍ مهمةٍ في هذا المجال بالقياس إلى من سبقه من مستثمرين، سواء من النواحي الفنية أو الإدارية. ويشرف ديوان الركاز على عمل المنشآت النفطية في أربع ولاياتٍ هي، وفق تسميات التنظيم: ولاية (الخير) تضم الجزء الأكبر من دير الزور، وولاية (الفرات) تضم أجزاء من سورية. والعراق، وولاية (البركة) وتضم الحسكة والرقبة. ويتبع ديوان الركاز لهيئة أعلى، تشرف بدورها على ديوان آخر للركاز يعمل في مواقع النفط في العراق.

#### ١- المكاتب والإدارات التي تتألف منها الإدارة الخاصة لمنشآت النفط في ولاية الخير (دير الزور):

تتركز في الموقع الرئيسي لحقل العمر وتتألف مما يلي:

١- إدارة الانتاج: مسؤولة عن إدارة العمليات الإنتاجية في حقول دير الزور، وتتألف من:

أ - قسم إنتاج الغاز المسؤول عن معمل غاز "كونوكو".

ب- قسم الصيانة الذي يتألف من الأقسام التالية: صيانة الآبار - صيانة الأنابيب والخزانات - الصيانة الميكانيكية - الصيانة الكهربائية - صيانة الأجهزة الدقيقة والمضخات الصغيرة - صيانة الآليات.

٢ - الإدارة المالية: المسؤولة عن الواردات المالية من بيع النفط - دوائر الجباية الموزعة على أساس جغرافي - شبكة من المحاسبين في كل موقع لبيع النفط - المكيلين- محرري الإيصالات المرتبطة ببيع النفط.

٣ - قسم الأعمال المدنية المسؤول عن أعمال الحفر والبيتون.

٤ - قسم الآليات المعني بتشغيل الآليات الخفيفة والثقيلة بين المواقع النفطية.

٥ - قسم الحراسات المعني بتوزيع طواقم الحراسة على المواقع النفطية.

٦ - وحدة إطفاء الحريق.

#### ٢- الكادر البشري في جهاز الدولة الإسلامية للنفط في "ولاية الخير":

يمكن التمييز بين أربعة أنواع من العاملين في جهاز الدولة الإسلامية للنفط في "ولاية الخير":

١ - المهاجرون ولهم المناصب القيادية دون النظر بخبراتهم الفنية حيث لم تظهر كفاءات علمية أو مهارات لافته على الرغم من تقديمهم لأنفسهم أنهم مهندسون.

٢ - السوريون المبايعون: وأغلبهم عمال عاديون ذوو خبرات محدودة في أعمال النفط.

٣ - السوريون المتقاعدون : وهم الكتلة الأشد أهمية في كادر تنظيم الدولة النفطية، ويدفع التنظيم دوماً قياديين من المهاجرين إلى استنساخ خبرات رؤوسهم هؤلاء من الصنفين (٢-٣) .

٤ - الموظفون الحكوميون: ما يزال العشرات من موظفي شركة الفرات للنفط في حقل العمر، من مهندسين وفنيين، على رأس عملهم، دون أن يتقاعدوا مع التنظيم، مكتفين برواتبهم من وزارة النفط التابعة للنظام، إضافةً إلى مكافآتٍ متقطعةٍ يدفعها التنظيم بين حينٍ وآخر لهم.

### ٣- أبرز المنجزات الفنية والإدارية لجهاز "الدولة الإسلامية" للنفط في "ولاية الخير":

- صيانة وتشغيل محطة معالجة النفط في كلِّ من موقع حقل العمر وحقل التنك الرئيسيّين.
- صيانة وتشغيل المحطّات الثانوية التالية: الغلبان؛ الشاهل؛ الطيانة؛ العشارة؛ العزبة. ويواصل الفنيون عملهم في هذا الاتجاه، ويُتوقع تشغيل محطّاتٍ ثانويةٍ جديدةٍ.
- إعادة استخدام تقنيات الحقن المائيّ في المحطّتين الرئيسيّتين لحقلي العمر والتنك، مع ما يلزم ذلك من أعمالٍ مرافقةٍ، مثل صيانة المضخات وصيانة الأنابيب والمحطات.
- مدّ خطّ توترٍ عالٍ بطول ١١ كم، بين موقع حقل التنك الرئيسيّ ومحطة الغلبان.
- استعمال طريقة القمع المقلوب لإطفاء حرائق الآبار.
- زيادة المتوسط اليوميّ لإنتاج الغاز المنزليّ إلى ٥٠٠٠ أسطوانةٍ في محطة التعبئة.
- ألغى التعامل بالليرة السورية وحصر البيع بالدولار الأمريكيّ، وقصّ التباين الشديد السابق في الأسعار بين موقعٍ نفطيّ وآخر.
- حرص على استقطاب الخبرات والكفاءات المحلية من موظفي شركات النفط.
- رغم بعض المظاهر الجزئية لفساد المحاسبين على الآبار المنفردة والبعيدة عن مراكزه النفطية، نجح التنظيم في تقليص مظاهر الهدر على الآبار إلى حدٍّ كبيرٍ.

### سادساً: الوضع الإنساني في مدينة دير الزور:

#### ١- الوضع الإنساني حتى بداية العمل المسلح:

يقوم اقتصاد دير الزور بشكل أساسي على الأراضي الزراعية الخصبة التي تشتهر بإنتاج القطن والقمح إلى جانب الثروات الباطنية وأهمّها النفط والغاز، وتعتبر المدينة أيضاً مركزاً سياحياً هاماً لانتشار المدن والمواقع الأثرية في ريفها، ورغم ذلك، لم تلقَ دير الزور الاهتمام الحكومي المناسب قبل الثورة، مما أبقاها رسمياً في خانة «المناطق النامية»، نظراً لمعدّلات التنمية المنخفضة فيها.

وكان إنفاق النظام الحاكم على تطوير البنى التحتية ومنظومات التعليم والصحة والخدمات متدنياً، بالمقارنة مع ما تقدّمه المحافظة لخزينة الدولة، بالإضافة إلى سياسة توظيف تمييزية ظالمة لأبناء المحافظة، وخاصّةً في قطاعي التعليم والنفط. وبسبب الرواتب المرتفعة للعاملين في مجال النفط كان حضور أبناء الطائفة العلوية، التي ينتمي إليها كثيرٌ من أركان النظام في سورية، يزداد فيه بطّراد، مقابل بطالة آلافٍ من خريجي الجامعات والمعاهد من أبناء المنطقة، ونزوح جماعيٍّ متتاليٍّ لقرى كاملةٍ بسبب الجفاف، وخاصّةً في قرى نهر الخابور، الذي توزّعت شرقه وغربه عشرات منشآت النفط والغاز. كل هذا عمّق مشاعر المظلومية لدى السكان، وزاد المشاعر الوطنية ضعفاً لدى الكثيرين منهم، في ظلّ اعتقادٍ ساد بأن نفط دير الزور ليس لأبنائها، بل للمحسوبين على النظام وأجهزة مخابراته ووجد هذا التصور دوماً ما يسنده على أرض الواقع.

وفي العام ٢٠١١، اندلعت الثورة السورية وشاركت المحافظة فيها منذ بدايتها، وكانت تلك المظلومية حاضرة في قائمة الشكاوى والمطالب والمطالب في وجه النظام، قبل أن تتحوّل الانتفاضة الشعبية السلمية إلى عمل مسلح، ليذوق أهالي الدير من هذا النظام الكثير



من الآلام التي تمثلت بتفريق المتظاهرين بالرصاص الحي وسقوط القتلى والجرحى التي لم يكن بالإمكان دفنهم أو إسعافهم، فضلا عن الاعتقالات العشوائية.

كما بدأت حركة النزوح تظهر بتاريخ ٢٠١١/٧/٢٨ عند بدء أولى الحملات الأمنية على المدينة وقصف حي الحويقة بالدبابات الذي أدى إلى سقوط عدد كبير من الشهداء وحركة نزوح كبيرة لسكان المدينة نحو المناطق المجاورة بسبب نقص المواد الغذائية والطبية، وتدمير قطاع واسع من المباني السكنية والمحال التجارية والمرافق العامة.

ومنذ أن سيطر الجيش السوري الحر على كامل المدينة في حزيران ٢٠١٢ لم يتوقف النظام عن قصف المدينة بشكل يومي مما أدى إلى دمار كبير في البنية التحتية وانقطاع الماء والكهرباء عنها، ولجونه إلى تدمير الجسور في المدينة التي تربط أطرافها، وعلى رأسها الجسر المعلق الذي يربط بين طرفي المدينة ليزيد من معاناة الأهالي.

## ٢ – الوضع الإنساني من التحرير وحتى سيطرة "تنظيم الدولة":

انتشرت في مدينة دير الزور بعد تحريرها ظاهرة الاستيلاء والتعدي على المنشآت النفطية بأنواعها المختلفة، ومالها من انعكاسات سلبية على الحاضنة الاجتماعية التي عمل النظام على استثمارها.

وعملت وزارة نفط النظام إلى إبرام ما سُمي بعقود الحماية، وبموجبها يلتزم المقيمون في أماكن المنشآت النفطية بحمايتها، إلا أن هذه العقود لم تنجح من الحد من الهجمات والاعتداءات الأخذة بالتسارع والانتساع بسبب التحدي والنكايه في إطار الحسد والتنافس مع المجموعات الموقعة، الذي ازداد حدة مع ظهور الحراقات في الربع الأخير من العام ٢٠١٢م.

## اتفاقية الغاز مقابل الكهرباء :

تعكس هذه الاتفاقية في الحقيقة وحشية النظام مع أبناء "شعبه"، وهي اتفاقية مبرمة بين قوى مختلفة تعاقبت السيطرة على معمل الغاز "كونوكو" وبين وزارة نفط النظام تقضي بضمن استمرار ضخ ٩٠ متراً مكعباً يومياً من الغاز النظيف لمحطات توليد الطاقة في مناطق النظام، مقابل أن يسمح بتمرير التيار الكهربائي لشبكة كهرباء دير الزور.

إلا أن هذه الاتفاقية تعرضت لخرقات كبيرة، وهجمات كانت محل سخط واستنكار شعبي لم يثمر رغم اتساعه في فعل بناء يردع المهاجمين ويلزمهم باحترام المصلحة العامة، وخاصة عندما ينتمي هؤلاء المهاجمين إلى أفخاذ عشائرية ذات بأس، وكثيرة هي المرات التي قطع فيها النظام الكهرباء عن كامل مدينة دير الزور إلى حين السماح لورشات الصيانة التابعة له بإصلاح الأنابيب المتضررة واستئناف ضخ الغاز.

لكل ما سبق أظهر الرأي العام المحلي تدمراً متزايداً من الفوضى التي جلبها التحرير والتصرفات الطائشة والمبدأ الفضفاض للمجموعات المسيطرة للانقضاض على المال العام بصوره وأشكاله المختلفة.

واستمر الحال كذلك إلى أن أصدرت الهيئة الشرعية بتاريخ ٢٠١٣/١١/١٤ بياناً تعلن فيه السيطرة على معمل الغاز كونوكو بينت فيه الانعكاسات السلبية لسلوكيات المجموعات العشائرية المسلحة الطائشة، وما ترتب عليه من انقطاع للتيار الكهربائي أدى بدوره إلى وفاة العديد من الأطفال وتلف الكثير من المواد الطبية والغذائية.

وكان لهذا التصرف وقع حسن لدى الرأي العام لسكان المحافظة، وأظهرت "الهيئة" دورها قادراً أعلى من المسؤولية تجاه المصلحة العامة، وخففت بالتزامها باتفاقية الغاز مقابل الكهرباء عدد مرات انقطاع التيار الكهربائي.

وراحت تتطلع إلى تجارب أخرى كالسيطرة على حقل العمر، وتسخير مواردها للصالح العام لتركييب مضخات كهربائية لري الأراضي الزراعية، وصيانة الأفران الآلية وتشغيلها وتأمين الخبز بسعر مدعوم وتشغيل المدارس والمراكز الصحية ودفع رواتب العاملين فيها، والانفاق على أعمال النظافة العامة ومياه الشرب والكهرباء.

## ٣ – الوضع الإنساني بعد سيطرة "تنظيم الدولة":

في الوقت الذي تستمر فيه الاشتباكات العنيفة بين عناصر "التنظيم" وقوات النظام على جبهات أحياء المدينة، كان الطيران الحربي يواصل غاراته على الأحياء المدنية، ومحطات النفط، وتلقي طائرات اليوشن الشحنات المحملة بالمواد الإغاثية على الأحياء المحاصرة والخاضعة لسيطرة قوات الأسد داخل مدينة دير الزور.

هذا الفرز الواضح في دير الزور بين مناطق خاضعة لـ "تنظيم الدولة" وأخرى خاضعة ومحاصرة من قبل النظام جعلنا نقسم الوضع الإنساني وندرسه في منطقتين وهما:

#### أ – الوضع الإنساني في مناطق سيطرة "التنظيم":

تتصف العلاقة بين السكان المحليين وتنظيم "الدولة الإسلامية" بأنها متوترة بشكل مستمر جراء الاستفزازات والقرارات التي يفرضها التنظيم على الأهالي بشكل دائم، بالإضافة لأحكام الإعدام التي يتم تنفيذها بحق بعض المعتقلين من أهالي المدينة، خاصة أن تنظيم "الدولة الإسلامية" بعدما سيطر على المدينة قد أعطى العهود والمواثيق للكثيرين من أبنائها وبعد فترة قام بنقضها و نفذ بحقهم أحكام الإعدام دون أن يبالي.

أبو عمر، مقاتل سابق في التنظيم من البوكمال، قال: إنه على الرغم من سيطرة التنظيم على المحافظة إلا أنه بقي يشعر بالخطر فيها، فالمقاومة التي واجهها في المحافظة لم يلق مثلها في أي مكان آخر، حيث أن معاقل التنظيم الكبرى في مدينتي الموصل والرقعة سقطت في وقت أقل بكثير من دير الزور".

وأضاف: "إن مقاومة الأهالي للتنظيم لم تتوقف، فعناصر التنظيم يتعرضون لإطلاق النار والاختطاف وتتم مهاجمتهم أسبوعياً إن لم يكن يومياً في بعض الأحيان، مما خلق حالة من الرعب لدى عناصر التنظيم من المنطقة، لذا تراهم لا يسبغون أفراداً ولا يخرجون من مقراتهم ليلاً إلا على شكل جماعات".

ويشير أبو عمر إلى أنّ الوضع الأمني "الخطير" في دير الزور أجبر التنظيم على إيجاد حل سريع، فمقرات التنظيم لم تعد آمنة على الأرض من المقاتلين السابقين المتخفيين الذين لم يستطع التنظيم الوصول إليهم.

مقاتل آخر سابق في التنظيم "أبو عبيدة" يوضح: أن الوضع الأمني "أصبح يشكل كابوساً لتنظيم الدولة" وهو ما دفع الأمراء للبحث عن حل سريع لهذه المشكلة، حيث درسوا فكرة إيجاد منطقة آمنة لمقراتهم تكون شبيهة بمدينة الشدادي في الحسكة، فوقع اختيارهم على منطقة الزباري\* في الريف الشرقي.

وقال: "صدرت أوامر غير معلنة لعناصر التنظيم بمضايقة الأهالي بكل الوسائل لدفعهم لترك المنطقة، ليبدأ التنظيم بمصادرة البيوت بتهم مختلفة واعتقال الشباب وسوقهم إلى جبهات القتال، تارة بحجة ارتكابهم مخالفات شرعية وتارة أخرى بدعوى أن الجهاد أصبح واجباً على كل الشباب في المنطقة على حد قول التنظيم".

وهذا ما دفع كثيراً من العوائل لترك المنطقة والهجرة إلى مناطق أخرى خارج سيطرة التنظيم، ليقوم التنظيم بعدها بتوطين الأجانب من مقاتليه في هذه البيوت ويعمل على تجهيز مبان محصنة له، ربما لنقل المقرات الكبيرة إليها، بحسب أبي عبيدة.

ويمكن تبيان الحال الإنسانية لأهالي دير الزور في مناطق سيطرة "تنظيم الدولة" من خلال النقاط الآتية:

١- قيام "التنظيم" باعتقال المقاتلين الذين كانوا منتمين لفصائل الجيش الحر والكتائب الإسلامية سابقاً، ويقوم بإخضاعهم لدورات "استنابة" ويسوقهم إلى جبهات القتال.

٢- واقع المرأة: تدرّج التنظيم منذ سيطرته على محافظة دير الزور إلى الآن في نوعية العقوبات التي يفرضها على النساء المخالفات للباس الشرعي، حيث بدأها بدفع غرامات نقدية، وتطورت مع الأيام لتصل إلى الجلد والقيام بأعمال السخرة، حيث كانت حولة في البوكمال من أوائل من طُبّق بحقهن تنفيذ أعمال السخرة بعد اعتقالها لوقوفها مع ابن خالتها دون محرم.

٣- تراجع التعليم بكل مستوياته بشكل ملحوظ، ويمكن اعتباره أنه متوقف للسنة الثانية على التوالي، رغم أن التنظيم عمل على إصدار منهاج جديد ٢٠١٥ إلا أنه لم يكن هناك إقبال على المدارس، وفرض رسوم تسجيل على الطلاب / ١٠ \$، وأجبر الطلاب على شراء نسخة من المنهاج سيء الطباعة وقدرها / ٢٠ \$ تعود لخزينة التنظيم المالية.

٤- الأسواق الشعبية والهجرة: حيث تُباع في تلك الأسواق الأدوات الكهربائية والمنزلية المستعملة بأرخص الأسعار حيث يتوجه إليها المدني الذي قرر الهجرة بسبب ازدياد بطش وظلم تنظيم "الدولة الإسلامية" وقصص التعذيب المريعة.

#### ب - الوضع الإنساني في مناطق سيطرة النظام :

قامت قوات نظام الأسد في الأحياء المحاصرة والخاضعة لسيطرتها في مدينة دير الزور بإغلاق طريق دير الزور - الرقة عند نقطة حاجز عياش، المعبر البري الوحيد الذي يسمح للمدنيين المحاصرين بالخروج منه إلى مناطق سيطرة "تنظيم الدولة"

وقامت هذه القوات خلال الفترة الأخيرة بإغلاق الطريق بشكل نهائي مستخدمة الحواجز الإسمنتية، كما قامت فرق الهندسة التابعة للنظام بزرع محيط الحاجز والمنطقة بالألغام تحسباً لهجوم تنظيم الدولة عليه.

وفتح النظام السوري باب الخروج من المناطق المحاصرة للعائلات التي يعاني أطفالها من نقص التغذية، حيث تقوم العائلة بعرض الطفل المصاب بسوء التغذية على قائد الشرطة في مبنى المحافظة بحي الجورة.

فإن اقتنع قائد الشرطة أن الطفل مصاب بسوء التغذية من خلال وضعه الصحي يقوم بإحالة الطفل للمشفى من أجل إجراء الفحوص والتحاليل الطبية من قبل الطبيب المختص وتزويد أهالي الطفل بالتقرير الذي يثبت أن طفلهم مصاب، ومن ثم الحصول على إحالة من المشفى، ثم يتقدم أهالي الطفل بطلب السماح بالمغادرة مرفقا معه التقرير الطبي وإحالة المشفى لقائد الشرطة فيتم قبول الطلب أو رفضه.

بينما يستطيع القليل من المدنيين ممن هم من أهل المحسوبيات، أو الذين يدفعون مبالغ مالية كبيرة لسماسة، المغادرة خارج مناطق سيطرة النظام جواً عن طريق الطيران المروحي.

وتعاني الأحياء الواقعة تحت سيطرة الحكومة السورية من حصار خانق منذ بداية الشهر الأول من العام ٢٠١٥ (يبلغ عدد السكان في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام نحو ١٧ ألف نسمة)

حيث يمنع "تنظيم الدولة" دخول أي شيء إلى مناطق سيطرة النظام مما تسبب بوضع كارثي وخاصة بعد انتشار الموت جوعاً وتفشي الأمراض.

ويوجد حالياً بأسواق الجورة والقصور بعض المواد الغذائية وبكميات قليلة والتي تصل للأسواق عن طريق عناصر النظام من وحداتهم العسكرية والفروع الأمنية وكذلك يقوم أغلب عناصر النظام الذين يحصلون على الإجازات خارج محافظة دير الزور بإحضار ما يستطيعون حمله من جميع المواد وذلك عند انتهاء إجازتهم وعودتهم إلى دير الزور وبيع هذه المواد وبأسعار مرتفعة لبعض الأشخاص الذين يتعاملون معهم وكذلك تصل بعض المواد للأسواق من معابر التهريب التي يديرها عناصر النظام وعن طريق المطار أيضاً.

وما يزيد الطين بله على الأهالي المحاصرين هو أن المواد التي يتم إدخالها يقوم ضباط وعناصر النظام بتحديد أسعارها مع بعض التجار المنتفذين، ويتم رفع هذه الأسعار بشكل كبير جداً.

وهذا جدول مرافق يبين أسعار أهم المواد خلال الفترة بين ٢٥/٤ - ٦/٥/٢٠١٦.

جدول بأسعار بعض المواد في أحياء المدينة الخاضعة لسيطرة النظام							
م	اسم المادة	الوزن	السعر ل.س	م	اسم المادة	الوزن	السعر ل.س
١	السكر	١ كغ	٣١٠٠	٨	علبة حلاوة	٤٠٠ غ	٤٠٠٠
٢	علبة شاي كرز	٤٥٠ غ	٦٥٠٠	٩	قهوة	٢٠٠ غ	٢٥٠٠
٣	شاي فرط	١ كغ	١١٠٠٠	١٠	اللحم	١ كغ	٤٠٠٠
٤	الزيت	١ كغ	٦٠٠٠	١١	سعر بيضة عربية	الأطباق غير متوفرة	٢٥٠
٥	الرز	١ كغ	٢٣٠٠	١٢	الخبز	١ كغ	٧٠
٦	علبة مرتديلا	٢٠٠ غ	١٤٠٠	١٣	بنزين نظامي	١ لتر	٤٠٠٠
٧	علبة مربى	٣٠٠ غ	١٥٠٠	١٤	الغاز المنزلي	غير متوفر	

- وكذلك يمكن تبيان الحالة الإنسانية لأهالي دير الزور في مناطق سيطرة النظام عبر عدد من النقاط أهمها:
- ١- تدهور الوضع الإنساني بسبب قيام رؤساء الفروع الأمنية والمحافظ بتوزيع قسم من هذه المواد المعيشية على عناصر قوات النظام ومليشيا "الدفاع الوطني" وبعض العائلات المقربة من الأجهزة الأمنية. ولم يتم توزيع شيء على المدنيين الذين لا يجدون ما يأكلونه، ويقتصر الطعام على الزعتر والماء بديلاً للزيت، أما القسم الآخر من المساعدات فتم بيعه لتجار محسوبين على النظام، والذين يعرضون بضائعهم في السوق السوداء، وبأسعار تتجاوز السعر بعشرة أضعاف.
  - وهذه سياسة تتبعها قوات النظام منذ بدء الحصار، ولكنها زادت في الآونة الأخيرة، ليقف الأهالي عاجزين عن شراء احتياجاتهم. وكثير منهم باتوا بلا أعمال ولا نقود وبالتالي يُجبرون للعمل لصالح النظام ومليشياته.
  - ٢- ازدياد شراسة حملات التجنيد في مناطق سيطرة قوات النظام في دير الزور، بعد هجوم تنظيم "الدولة" الأخير وسيطرته على قرية البغليبة في شباط ٢٠١٦، وبدأت قوات النظام باعتقال المدنيين من الشوارع والطلاب من الجامعات. وشمل الأمر موظفي الدوائر الحكومية ومن يملكون أوراق تأجيل دراسي وحتى المعفيين من الخدمة الإلزامية. حيث اعتقل النظام منذ ٢٤ كانون الثاني، إلى ٣ شباط، أكثر من ٢٠٠ مدني، ونقلهم إلى مقراته في "اللواء ١٣٧" و"معسكر الطلائع" للخضوع إلى دورات تدريبية لا تتجاوز مدتها ١٠ أيام، من ثم يزج بالمدنيين على خطوط القتال الأولى مع التنظيم.
  - ٣- أما بالنسبة للوضع التعليمي فيكاد ينعدم الدوام في جامعة الفرات والمدارس بسبب خروج المدرسين والمدارس بحثاً عن تدبير أمورهم المعيشية، إضافة إلى حملات الاعتقال من قاعات الامتحان في الآونة الأخيرة بهدف تجنيدهم، وعندما احتج الطلاب على ذلك هدد محافظ المدينة بحجز ثبوتياتهم الشخصية لارغامهم على التجنيد الاجباري، أضاف إلى كل ذلك حملات خطف للطلبات من قبل عناصر الأمن والشبيحة دون رقيب أو حسيب و بضوء أخضر من النظام.
  - ٤- استمرار مجازر الطيران بحق المدنيين ، حيث ارتكب الطيران الروسي مجزرة في حي الحميدية الذي يخضع مناصفة لسيطرة قوات النظام، والتنظيم، بقصفه الأحياء الشعبية والسكنية داخل الحي.(٤):

أسماء شهداء مجزرة الحميدية بتاريخ ٢٠١٦/٤/١٧						
حسن البجعة	إياد عبد الفتاح العبد الله	أحمد الهلاط	أحمد الحمصية	فواز الفتيح	محمد الفتوري	وردة مصطفى الحموكة
صالح ذياب المرهج	عبد الرحمن العكيلي	ياسين البعاج	محمود الحمصية	خنساء حموكة	دنيا الحموكة	غزوان الرياش
عبد الخليوي			أربعة أطفال تحت الأنقاض			

#### سابعاً: التحالف الدولي وطيران نظام الأسد

في بداية الضربات الجوية لقوات التحالف الدولية التي بدأت طلعاتها بتاريخ ٢٠١٤/٤/١٩ تكبد تنظيم "الدولة الإسلامية" خسائر في العتاد والعدة، بالإضافة لتدمير معظم مقراته فلجأ إلى التستر بالمدنيين والتواجد بينهم تجنباً للضربات الجوية، إلا أن التحالف الدولي لم يأخذ هذا الأمر بالحسبان حيث قصف مشفى الأطفال في البوكمال والذي نتج عنه استشهاد بعض الأطفال بما فيهم الرضع، ليضيف معاناة أخرى إلى معاناة المدنيين.

و كانت دول التحالف بدأت أولى غاراتها الجوية على جبل طابوس مستهدفة معسكر التنظيم التدريبي عند تخريج دورة جديدة منه، ومنجم الملح معقل التنظيم الرئيسي في الريف الغربي، موقعة قتلى وجرحى في صفوف التنظيم. أما نظام الأسد فيمتلك في الريف الغربي نقطة متمثلة بمعسكرات عياش، واللواء ١٣٧ التي تعتبر

مركزا لعمليات القصف التي يقوم بها بشكل يومي على المنطقة، بالإضافة إلى تنفيذ الطيران الروسي طلعاته الجوية لصالح النظام.

جدول بأسماء المناطق التي تم استهدافها من قبل النظام السوري وطيران التحالف					
١	حي الكنمات	٧	مدينة العشارة	١٣	بلدة الكسرة
٢	حويجة صكر	٨	بلدة حطلة	١٤	قرية الحصان
٣	جسر السياسية	٩	بلدة بقرص	١٥	حقل العمر النفطي
٤	محيط المطار العسكري	١٠	بلدة الباغور	١٦	حقل الخراطة النفطي
٥	مدينة البوكمال	١١	بلدة البويل	١٧	حقل التتك النفطي
٦	مدينة الميادين	١٢	بلدة النبي		

سقط على إثر تلك الغارات مايقارب الخمسين ضحية، جلم من النساء والاطفال بينهم عوائل في بلدة الزباري التي ارتكبت في حقهم مجزرة آنذاك.

أسماء ما أمكن توثيقه من الشهداء الذين سقطوا بسبب قصف طيران التحالف الدولي والطيران الروسي ونظام الأسد حتى تاريخ ٢٠١٥/١١/٢٠					
١	ثلاثة من أبناء عبدالله الهلال	١٢	صفية عماش الدهش	٢٣	عمشية الذيبان
٢	عائلة ابراهيم الزيراوي	١٣	منى عماش الدهش	٢٤	اميرة محيسن العكلة البويل
٣	عماش الدهش	١٤	يسرى عماش الدهش	٢٥	"منهل البدي الميادين" امراه
٤	محمد عماش الدهش	١٥	حنان عماش الدهش	٢٦	" أريج النجم الميادين " امراه
٥	احمد عماش الدهش	١٦	اثنان من أبناء المرغل	٢٧	مها غازي العباد العشارة " طفلة
٦	صالح عماش الدهش	١٧	حسان المرغل	٢٨	خضر دحام الحمدان البوكمال
٧	ابراهيم الدهش	١٨	دلة الحمد الحسين	٢٩	باسل صويلح الملحم البويل
٨	حسينة زوجة عماش الدهش	١٩	حنان المرغل	٣٠	عبدالواحد شمس الرحال البويل
٩	ايمان عماش الدهش	٢٠	ناديا المرغل	٣١	بلال عيود العكلة البويل
١٠	فاطمة عماش الدهش	٢١	شادية المرغل	٣٢	رمال بشير السطام البويل
١١	آية عماش الدهش	٢٢	طفل من مدينة البوكمال		

### خلاصة

إن النفط كان ولا يزال أحد أهم العوامل المؤثرة في أوجه الصراع المختلفة في محافظة دير الزور، سواء منها المتعلقة بالثورة التي حصلت ضد الحكومة السورية أو تلك الناشئة بين القوى والتيارات العسكرية والدينية والاجتماعية. وكان يمكن للشريحة السياسية والعسكرية في المجتمع وهي المسؤولة بعد خروج النفط عن سيطرة النظام، أن تعمل على السيطرة عليها وادارتها.

وبعد أن قرر المجتمع الدولي - التحالف الدولي- خوض حرب ضد تنظيم الدولة وإعاقة في إنتاج واستثمار التنظيم للنفط، فإنه لا بد أن يراعي أيضا الآثار الاقتصادية الكبيرة لهذه الإعاقة على السكان، وكذلك الآثار الأخرى في قطاعات الصحة والزراعة والخدمات والنقل.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ التكتّم الشديد والمتعمد على الأرقام الكلية للإنتاج وحصر معرفتها بالمسؤولين المهمين بجهاز "التنظيم" النفطي وهو الأمر نفسه الذي كان يتبعه النظام، يدل على ضخامة العائدات من النفط التي يمتنع كلا الطرفين عن الإفصاح عنها.

وأخيرا فإن توافق النظام والتنظيم على عدم الإفصاح عن الأرقام الكلية للإنتاج، واستمرار موظفي النظام في العمل تحت سيطرة "التنظيم" يؤكد بما لا يمكن الشك فيه التعاون الوثيق بينهما.

